المجلة العالمية لبحوث القرآن
المجلد ٣، العدد (٤)، يونيو ٢٠١٣م، ص١٨٧-٢٢٢
© ٢٠١٣ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

الوقاية الشاملة ومجالاتها في القرآن الكريم

د. عفاف عبد الغفور حميد

COMPREHENSIVE FORTIFICATION IN THE HOLY QUR'AN

ABSTRACT

Among the widely spread wisdoms today is, 'to be fortified is better than getting treated.' As being fortified protects one from falling into any harm which may require complicated or long span treatment. This paper intends to highlight the strategy of fortification in the Qur'an which is a basic principle not to be neglected by the Qur'an. It includes all the necessary means and tools for mankind to handle their role on earth positively. This is because it is basically set by Almighty Allah (the Creator) Who knows best the needs of His creation and what benefits them. Moreover, these strategies ensure people's five necessities acknowledged by Muslim scholars and known as: the necessity of religion, soul, money, mind and breed. Accordingly, the means of this strategy are particular and general for the individual and the nation encompassing all walks of life to prevent slippage and troubles. Fortification in the Qur'an includes: political, economic, social, morality, medical and psychological aspects. The paper concludes that comprehensive fortification is a basic principle in the Qur'an for all fields of life to ensure people's necessities.

ملخص البحث

من الحِكم المتعارف عليها حديثاً: أن الوقاية خير من العلاج، وبذلك تحول الوقاية دون وقوع ما يحذر منه ويحتاج إلى علاج قد يصعب أو يطول. وهذا البحث يهدف إلى إبراز مبدأ الوقاية في القرآن، وأن القرآن لم يهمل ذلك بل هو مبدأ أصيل فيه، حيث يتضمن طرقاً ووسائل وقائية للإنسان إذا ما التزمها يحقق الخلافة الصالحة على الأرض، لكونها ربانية ممن خلق الكون والأنفس وهو أعلم بخلقه وما يصلحهم، كما أن هذا المبدأ يحقق مصالح الإنسان التي تعارف عليها علماء الشريعة بالضرورات الخمس، مصلحة الدين والنفس والمال والعقل والنسل، ولذلك جاءت خاصة وعامة للفرد وللمجتمع، تشمل جميع نواحي الحياة لتحفظها من المشكلات، فكانت الوقاية في القرآن في المجال (السياسي والاقتصادي، والاجتماعي والأخلاقي، والطبي والصحة النفسية). ويخلص البحث إلى نتيجة أساسية هي أن الوقاية الشاملة أحد المبادئ الأساسية في القرآن الكريم، وفي كل مجالات الحياة، وأن القرآن الكريم يحقق الوقاية ضماناً لضرورات للإنسان.

الكلمات الدالة: الوقاية، والعلاج، والضرورات الخمس.

المقدمة

الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شئ، فكان من رحمته أن رسم سبل الهداية، بما يحقق السعادة في الدنيا والآخرة، وأمدنا بالعقل ليدرك ما يتلقاه من الخير، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديثاً قيل: الوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج[1]... فالمرض يسبق العلاج، ولكن الوقاية تسبق المرض. وكما جاء الإسلام بتعاليمه الربانية السمحة، أمدنا بطرق الوقاية وأساليبها قبل العلاج، وإن كان الإسلام قدم العلاج لمختلف القضايا في الحياة، ولكن وضع قبل ذلك سبل الوقاية منها.

---

[1] يبدو أن القول حديث وليس من الحكم أو الأمثال القديمة، لأنه لم يرد في كتب الأمثال والمعاجم وكتب اللغة القديمة، ولم يرد في تاج العروس للزبيدي وهو من أحدث المعاجم القديمة وأوسعها، ويحتوي كثيرا من التعابير الحديثة العهد.

والمتدبر للقرآن الكريم يرى أن مبدأ الوقاية واضح في تعاليم القرآن الكريم للبشر كلهم على مستوى الفرد والجماعة، وأن القرآن أولى النواحي الوقائية الأهمية الكبرى، في الوقت الذي لم يهمل معه النواحي العلاجية، وقد جاء هذا المنهج بأساليب وطرق مختلفة لو التزمها الإنسان، لجنبته كثيراً من المهالك التي تثقل كاهله وتتبعه إلى آخرته، والشريعة الإسلامية قدمت الوقاية على العلاج، وأعطت اهتماماً أكبر للوقاية من المشكلات بدلاً من انتظار وقوعها ثم التحرك لعلاجها، حيث وضعت التشريعات منهجاً دقيقاً للوقاية بمختلف أنواعها، وهذا البحث يستظهر هذه القضايا في القرآن الكريم، بما يحقق مقاصد القرآن في تحقيق مصلحة الإنسان.

أما الدراسات السابقة للموضوع فمنها: التربية الوقائية في الإسلام، لفتحي يكن، والكتاب يتناول الوقاية في مجال التربية ويهتم بالتربية للدعاة خصوصاً. والخدمة الاجتماعية الوقائية، لمدحت محمد محمود أبو النصر، وهو يتناول الوقاية في مجال المجتمع عن طريق الخدمات المقدمة لفئات معينة. والوقاية خير من العلاج، لعبد الرزاق الكيلاني، وهو في مجال الطب وصحة البدن، ويربط أحياناً ذلك بالوقاية القرآنية كحرمة الخمر والزنا. ووقاية الإنسان من الجن والشيطان، لوحيد عبد السلام بالي، والعنوان واضح في التوقي من أساليب الشيطان الواردة في القرآن الكريم. وأخيراً الدعاء سبيل الحياة الطيبة، لسعاد الناصر، والكتاب يوضح أهمية الدعاء كوقاية لنيل الحياة الطيبة. والملاحظ على المؤلفات السابقة يجدها تتناول جانباً من جوانب الوقاية في مجال محدد ولا يتناول غيرها ولا ينبه لعموم الوقاية وشمولها في القرآن وملامحها.

والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستنباطي التحليلي باستنباط مبدأ الوقاية من الأدلة القرآنية وتحليلها ومن ثم تصنيفها إلى مجالاتها المتعددة. والبحث في مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث: المبحث الأول: مفهوم الوقاية وصيغها في القرآن (الحذر والتجنب، وعدم الاقتراب واتباع الشيطان، والاعتزال والاعتصام). والثاني: الوقاية العامة الشاملة في القرآن (سلامة العقيدة، والحذر من الشيطان، والدعاء). والثالث: مجالات الوقاية في القرآن (السياسي والاقتصادي، والاجتماعي والأخلاقي، والطبي والصحة النفسية)، وتضمنت الخاتمة نتائج البحث.

المبحث الأول

مفهوم الوقاية وصيغها في القرآن

سأتناول في هذا المبحث معنى الوقاية في اللغة والاصطلاح، ثم صيغ ومرادفات هذه اللفظة في القرآن الكريم سواء المباشرة وغير المباشرة كالآتي:

أولاً: معنى الوقاية في اللغة والاصطلاح

الوقاية لغةً:

ذكرت المعاجم اللغوية أصل الوقاية من الفعل (وقى) بمعان متعددة تحمل جميعها منع الشئ وحفظه مما يؤذيه أو يفسده، أو يتوقع منه ذلك زيادة في الحرص. ورد اتَّقى يَتَّقي، أصله اوْتَقى على افْتَعَلَ. والتَقْوى والتُقى: واحدٌ.. يقال: اتَّقى تَقِيَّةً وتُقاةً. والتَقيُّ: المتَّقي... وتَوَقَّى واتَّقى بمعنًى. ووَقاهُ الله وِقايَةً، أي حَفِظه[١]. ومن الفعل (وقى) بمعنى: صانه من الأذى، وحماه وحذره وجنبه[٢]، ويقي: يمنع من الوقوع، ويحول بينه وبين شئ آخر، ويصد الشئ، ويجنب الشئ[٣]، وأصل الاتقاء: الحجر بين شيئين ومنه يقال: اتقى بترسه...، وقال ابن منظور: يقال: وقاه اللّه وقيا ووقاية وواقية صانه[٤].

قال الراغب: "الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، قال تعالى: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ [الرعد: ٣٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه"[٥]،

---

[١] راجع مادة وقى في الصحاح للجوهري، ٦/ ٢٥٢٨.

[٢] المعجم الوجيز، إبراهيم مدكور، ص ٦٧٩، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٨٠م.

[٣] المعجم الوسيط، ص ١٣١٠-١٣١١، ط دار الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٥م.

[٤] لسان العرب (وقى) (٤٩٠٢ ط. دار المعارف).

[٥] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين الراغب الأصبهاني، ١ /٥٣٠، تحقيق: محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة، لبنان.

وكرر هذا المعنى المناوي: "في حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره، والتوقي جعل الشيء وقاية مما يخاف"[١].

ثم ذكر الكفوي معنى المتقي في عرف الشرع فقال: اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة، وهو الشرك المفضي إلى العذاب المخلد، وعن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، وعن كل ما يشغل عن الحق والتبتل عليه بالكلية، وهو التقي الحقيقي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، واتقى: يتعدى إلى مفعول واحد، ووقى يتعدى إلى اثنين ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦][٢].

وبين الآلوسي معنى الآية في التنزيل: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، فقال: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ حقيق بأن يتقى عذابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر المبني للمفعول ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ حقيق بأن يغفر جل وعلا لمن آمن به وأطاعه فالمغفرة مصدر المبني للفاعل[٣].

قال ابن منظور: التقوى: أصلها وقيا لأنها فَعْلَى مِن وَقَيت[٤] وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]، أي مِن دافِع، ووقاه وِقايةً: أي حَفِظَه، والتوقِية: الكَلاءة والحفظ وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، أي هو أهلٌ لأن يتقى عقابه وأهل لأن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته .وهذه المعاني جميعها تشير إلى الحماية والصيانة والتنبيه والحفظ والدفاع.

الوقاية اصطلاحاً:

---

[١] التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ٧٣٠/١، تحقيق د. محمد رضوان الداية ط ١ دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق ١٤١٠هـ.

[٢] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الحسيني (ت ١٠٩٤)، ٣٩/١ تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م.

[٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ١٣٥/٢٩، دار إحياء الترث العربي، بيروت، (د.ت).

[٤] لسان العرب مادة وقى ١١٠/١٥.

لا يكاد التعريف الاصطلاحي عند القدماء في المعاجم يخرج كثيرا عن المعنى اللغوي، فقد ذكر الجرجاني التقوى عند أهل الحقيقة فقال: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد به الترك والحذر...[١]، وذكر معاني كثيرة آخرها وأهمها الاهتداء بالنبي عليه السلام قولاً وفعلاً.

وفي كليات الكفوي الاتقاء: هو افتعال من الوقاية، وهي فرط الصيانة وشدة الاحتراس من المكروه"[٢]، وكذلك يستفاد من معنى الوقاية عند كل من الراغب والمناوي السابقين في الاصطلاح فهو "حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره"، وقيل الصيانة شرعا: اتباع السبل الشرعية والعلمية الكفيلة بمنع حصول الضرر.

ومن التعريفات الاصطلاحية الحديثة: "جهود وممارسات علمية تبذل بهدف تجنب أو وضع أو تقليل من فرص وقوع المشكلات المتنبأ بها، سواء كانت هذه المشكلات جسمية أو نفسية أو اجتماعية أو ثقافية، التي يواجهها الأفراد أو الجماعات"[٣].

وهي على أي حال تعني الحيلولة دون حدوث مشكلات في المستقبل، بالاستعداد للتغلب على المتوقعة منها، وعلى هذا فحكمها واجب حيث تتحقق بها مصالح العباد.

ثانياً: صيغ الوقاية ومرادفاتها في القرآن الكريم

جاءت الصيغ الأسلوبية للوقاية في القرآن الكريم على نوعين:

الأول: صيغ صريحة (مباشرة)

وهي الآيات التي ذكرت فيها مشتقات الكلمة (وقى)، وقد ذكرت صراحة في القرآن في اثني عشر موضعا منها: قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. وجاء في تفسيرها ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه، عن قتادة ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ قال: "يقيهم أن

---

[١] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت ٨١٦هـ، ت: إبراهيم الأبياري ط١ دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

[٢] الكليات، مصدر سابق.

[٣] الخدمة الاجتماعية الوقائية، مدحت محمد أبو النصر، ص ٤١، ط دار القلم، دبي، ١٩٩٦م.

يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها"[1]، وقال في الكشاف: قُواْ أَنفُسَكُمْ بترك المعاصي وفعل الطاعات، وَأَهْلِيكُمْ بأن تؤاخذوهم بما تؤاخذون به أنفسكم، وقيل: قُواْ أَنفُسَكُمْ مما تدعو إليه أنفسكم إذ الأنفس تأمرهم بالشر"[2]، وفي تحذير القرآن من موالاة الكافرين إلا اتقاءً لشرهم يقول تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وفي مؤمن آل فرعون الذي دعا قومه إلى سبيل الرشاد فوقاه الله مكر آل فرعون قوله: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥]، كما امتن الله على عباده المؤمنين بأن وقاهم من عذاب الآخرة وما فيها من نار وسموم فقال: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]، وقبلها قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الطور: ١٨]، وقال ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[الدخان: ٥٦]، ومن دعاء الملائكة للمؤمنين يوم القيامة ما ذكره تعالى فقال:﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ﴾ [غافر: ٩].

والوقاية في هذه الآيات هي نفس المعنى اللغوي السابق في تعريف الوقاية، وأضاف القرآن لذلك المعنى الشرعي والمصطلح الديني للوقاية وهو التقوى، وتقوى الله تعني خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، بمعنى وقاية الإنسان من أي شئ ضار وتجنبه الوقوع في المعاصي والمنكرات والمشكلات، وقد تكررت كثيرا في القرآن فجاءت ٢٦٨ مرة بمشتقاتها المختلفة، أما ما ورد متفقا مع سياق الوقاية فهو ١٨٢ مرة أهمها (اتقوا الماضي والأمر، أتقى، تتقون، ويتقون، تتقوا)[3] حيث جاء الأمر بها، والحض عليها، وبيان أنها من صفات المؤمنين، ومن هذه الآيات:

---

[1] تفسير الطبري، ٤٩٢/٢٣، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر (د.ت).

[2] تفسير الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، ٤/ ٥٧٢، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، ٤١/٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

[3] راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (وقى) ص٩٢٥- ٩٢٨.

في الأمر بالتقوى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وفي صفات المؤمنين قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وفي بيان أجر المتقين قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقوله: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴾ [مريم: ٨٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴾ [الدخان: ٥١].

وفي بيان معية الله لهم وأنه وليهم يقول تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ويقول: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣]، ويقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: ١٩]، سنتناول بعض هذه الآيات خلال البحث.

الثاني: صيغ غير صريحة (غير مباشرة)

هناك صيغ في القرآن تؤدي معنى الوقاية بصورة غير مباشرة، عن طريق الأمر بالفعل أو النهي عنه بصيغ نذكر منها:

- **طلب الحذر من شيء:** وقد وردت لفظة حذر بمشتقاتها (٢١) مرة[1] من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة ١٢٢]. يقول ابن عاشور في معنى يحذرون في الآية: "وحذف مفعول يحذرون للتعميم، أي يحذرون ما

[1] راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (حذر) ص٤٢٨ – ٤٢٩.

يُحذر، وهو فعل المحرمات وترك الواجبات. واقتصر على الحذر دون العمل للإنذار لأن مقتضى الإنذار التحذير، وقد علمت أنه يفيد الأمرين"[1]، فيكون الحذر في الآية من عدم التفقه في الدين وقاية من الجهل به والوقوع في المخالفة.

وجاء الأمر في آيات أخرى بالحذر من فتنة الكفار في طاعتهم وقاية من فتنة الدين فقال: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾ المائدة: ٤٩، وفي أخذ الحيطة والحذر لبني إسرائيل حين خروجهم من مصر قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الشعراء: ٥٦، ومثلها ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً﴾ النساء: ٧١، و﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ النساء: ١٠٢، في الوقاية من العدو.

وفي التحذير من مخالفة الرسول ﷺ وقاية لهم من الفتنة والعذاب الأليم قوله: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

كما عابت آيات على الكفار والمنافقين في وسيلة حذرهم وقاية من أمر الله بقوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩]، ومثلها قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، كما تجعل الآية الأخرى الداء والتضرع إلى الله وقاية من عذابه وطمعا في رحمته فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧]. وأكثر هذه الآيات تعني بالحذر هو اتقاء شئ إما محرم، وإما لفساده وضرره، والحذر لا يكون إلا بأخذ الوقاية منه.

– **طلب تجنب الشئ**: جاءت المادة بمشتقاتها (١٢) مرة[1] (اجتنبوا الماضي والأمر، يجتنبون، ويجنبها..) في آيات تطلب اجتناب شئ محرم وقاية لأحد

[1] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١١/ ٦٢، ط الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

الضرورات التي أمر الله بحفظها، ففي الأمر باجتناب كل ما يعبد من دون الله وقاية لحفظ الدين نجدها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، وقوله:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، وقرن تعالى اجتناب الأوثان بقول الزور في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠]. وفي اجتناب المحرمات وقاية لحفظ الدين قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى ٣٧]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم : ٣٢].

وجاء الأمر باجتناب الخمر والميسر وقاية وحفظا للعقل الذي كرّم الله به الإنسان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، ومثل ذلك في اجتناب سوء الظن وقاية للنفس قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

نرى الآيات الآنفة تأمر باجتناب عبادة الطواغيت وعمل السوء، وكان من مهمات الأنبياء الأمر بذلك، والدعاء بتجنب عبادتها، وأن اجتناب السيئات من صفات المتقين. وفي تجنب السوء لا بد أن يتقيها بما يضادها بالإيمان والعمل الصالح، وطلب الاجتناب أبلغ في الردع من النهي عن الفعل.

– **طلب عدم الاقتراب مما حرم الله:** جاءت المادة بمشتقاتها (٩) مرات[٢]، وهذا الطلب أبلغ في النهي من عمله بما يفيد الابتعاد عن كل وسائله وما يؤدي إليه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا

---

[١] راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (جنب) ص٢٦٦.

[٢] راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (قرب) ص٦٨٦.

بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وفي النهي عن أكل مال اليتيم قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ومثلها قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٣٤]، يقول الشوكاني في عدم الاقتراب من مال اليتيم: "أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا بالخصلة ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ من غيرها، وهي ما فيه صلاحه وحفظه وتنميته، فيشمل كل وجه من الوجوه التي فيها نفع لليتيم وزيادة في ماله"[(١)].

ونهى الله عن مقاربة الحدود في قوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وفي النهي عن مقاربة الحائض قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ونهى الله آدم من مقاربة الشجرة في قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

– **طلب عدم اتباع سبل الشيطان والهوى:** جاء النهي في القرآن من اتباع الشيطان وغالبا ما يأتي التعبير بـ "خطوات الشيطان" لأن الشيطان يستدرج الإنسان فإذا ما فعل منكرا يستدرجه لخطوة أخرى بمنكر آخر إلى أن يرتكب كل ما يطلبه منه إذا لم يأخذ الوقاية منه، ولذلك نجد أن الله لم ينزل آدم وزوجه من الجنة إلا وهما مزودان بتجربة مفادها أن الشيطان عدوهم الأول والأخير، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ١٧٧/٢، دار الفكر، بيروت بدون تاريخ.

كما نهى تعالى عن اتباع الهوى، وما ذكر الهوى في القرآن إلا بصيغة الذم، لأن اتباع الهوى يجعل الإنسان بعيدا عن الشرع لا يحب الحق كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. واتباع الهوى يجعل صاحبه يتبع سبل الشيطان ويتخذ أولياء من دون الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، أي أن اتباع الهوى يفقد الإنسان الوقاية فيتبع سبل الشيطان باتخاذ أولياء من دون الله.

– **طلب الاعتزال: ورد** الاعتزال عن المشركين وقاية لهم من الوقوع في فتنة الدين كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، وقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]،وقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]، ويراد بالاعتزال في هذه الآيات النهي عن محرم وقاية للإنسان من وقوع محذور في الأمور التي أراد الله حفظها، وخصوصا حفظ الدين باعتزال من يعبدون من دون الله. وورد الاعتزال عن النساء في المحيض وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفيه وقاية من الأمراض البدنية والنفسية وهو ما يؤكده الطب الحديث.

وفضلا عن المعاني السابقة فمن الوقاية ما يرد ضمن الاعتصام بالله...

– **طلب الاعتصام بالله:** جاءت الآيات تأمر بالاعتصام بالله وقاية للإنسان من الانزلاق فيما يخاف منه وخصوصا حين يأتي الأمر بصيغة الجمع للأمة مرتبة الأجر العظيم على الالتزام بذلك الأمر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ١٤٦]، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥]، وقوله: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

المبحث الثاني

الوقاية الشاملة في القرآن

بما أن الوقاية منهج قرآني، فالمتدبر لآياته يجد أن القرآن وضع مبادئ عامة شاملة للوقاية، بحيث لو التزمها الناس فرادى وجماعات وشعوب، تكون لهم وقاية لكل مفاصل حياتهم، وتمنع عنهم كل المساوئ في الحياة العاجلة، وفي الآخرة تكون لهم وقاية من النار والفوز برضا الله ودخول جنته، وقد رأيت أن سبل الوقاية العامة في القرآن تكون في تحقق ثلاثة أمور:

أولاً: سلامة العقيدة

العقيدة لغة: من عقد، نقول: عقد الحبل أي شده، وعقد البيع إذا أمضاه ووثقه[١].

وفي الاصطلاح: هي مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها قلبه وفكره وعواطفه، جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا[٢].

وأساس العقيدة الإسلامية المرتكزة على الفطرة السليمة قائم على الإيمان بالله تعالى.

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٢٩٦.

[٢] عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ص ٢١. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

إن الإيمان بالله وإخلاص العبادة له، مع مراعاة جميع أركان الإيمان هو خير وقاية للبشرية من كثير من المهالك، على تنوعها، فمع أن وجود الله فطرة مغروسة في وجدان كل إنسان، ولا تحتاج إلى دليل، لكن القرآن الكريم أقام الدلائل عليها، فهو العهد الأول الذي أخذه الله تعالى على بني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وفي الحديث القدسي: "خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحل لهم"[(١)]. وقال ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[(٢)].

ولكن هذه الفطرة قد تفسد وتنحرف لسبب ما، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه كيف أن هذه الفطرة تتوضح وتعود حين التعرض للخطر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء: ٦٧]، فهذا فرعون الجبار قد رفض إله موسى حين أدركه الغرق وأحاط به الماء ظهرت فطرته حكى عنه القرآن قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. وهؤلاء قوم يونس حين كذبوه وذهب مغاضباً خافوا نزول العذاب، فعجوا بالدعاء أربعين ليلة ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح (٢٨٦٥)، ٤/٢١٩٧، وابن حبان في صحيحه، باب في التوبة، ح (٦٥٤)، ٢/٤٢٦، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، ح(٨٠٧٠)، ٥/٢٦، والإمام أحمد في المسند، ٤/١٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟...، ح (١٢٩٢-١٢٩٣)، ١/٤٥٦، كتاب التفسير، وباب ما قيل في أولاد المشركين، وباب لا تبديل لخلق الله ...والفطرة الإسلام، ح (٢٤٩٧)، ٤/١٧٩٢، كما رواه الإمام أحمد، ٢/٢٣٣، وأصحاب السنن.

ولذا نجد أن الأنبياء والرسل ﷺ لا يدعون أممهم للإقرار بوجود الخالق، وإنما إلى عبادته وحده، فكل منهم قال ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وفي سورة هود: ٥٠، ٦١، ٨٤].

وعلى هذا كانت مهمة الرسل برد الناس إلى الفطرة التي خلقوا عليها، وأرباب العقول يستدلون عليه من بديع صنعه، والحقيقة أن عقيدة التوحيد أقدم العقائد في تاريخ البشرية، وقبل أن توجد الوثنية، ومنذ خلق آدم ﷺ على عقيدة التوحيد، وليتولى الخلافة على الأرض، بعد أن تاب الله عليه وأخذ عليه العهد والميثاق أن يتبع الهدى، وما شقيت البشرية إلا يوم ابتعدت عن فطرتها وعبدت الأوثان وأشركت بالله أشياء من خلقه، فأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لهم..وأنزل معهم الكتب لتكون هداية لهم ولقيادة البشرية والأخذ بيدها وإنقاذها من مهاوي الضلال والإلحاد، وقبل ذلك تصحيح عقائدها لعبودية الله وحدها، وتقدم التصور الصحيح للحياة، وتنظيم علاقة البشرية بخالقها بالشعائر التعبدية، وكل عمل صالح[1]. فلولا الرسل لا يستطيع البشر – لقصور تصورهم – إدراك المعرفة المتصلة برب العالمين، وخاصة قضايا الغيب التي لا يمكن أخذها إلا عمن يملكون علمها، فمصدر علم الرسل هو الوحي، أما العبادات الوثنية والأديان غير السماوية فمصدرها عقل الإنسان الذي يجهل الغيب.

إن عقيدة التوحيد الخالص لله هو القاعدة الأساسية، والدعامة الأولى للعقيدة الإسلامية التي يجب على كل مسلم أن يعتقد بها في قبله وعقله، وينطق بها لسانه، معترفا دائما وأبدا بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فالعقيدة الإسلامية قائمة على أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وبالقدر خيره وشره، وهذه الأركان ثابتة بكتاب الله، وأحاديث الرسول ﷺ منها حديث جبريل.

إن هذه العقيدة لا تنتج ولا تثمر إذا بقيت نظرية في الفكر، وفلسفة يقلبها العقل بين يديه ويناقشها ثم يقبلها، إنها لا تؤتي ثمارها في الحياة إلا إذا كانت ماثلة في الذهن،

---

[1] انظر: العقيدة الإسلامية سفينة النجاة، كمال محمد عيسى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٠٩-٢١٠.

حاضرة في النفس، حية في القلب، تنبض بها العروق، وتتحرك بها الإرادة والجوارح...[١].

والعقيدة السليمة هي المرتكز الأول للصلة بين العبد وخالقه عز وجل، وهي القاعدة التي تبنى عليها الشريعة في العمل بالإسلام[٢]، وهي أول ما يطلب من الإنسان الإيمان به، فهي تمثل قاعدة الإيمان وأصله، فالإيمان هو: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان[٣]، فهو اسم جامع وشامل للعقيدة والشريعة، وهو شطران: عقيدة راسخة في القلب، وعمل ظاهر على الجوارح بحيث إذا فقد أحدهما زال الإيمان، والعقيدة تأتي بمعنى الإيمان لأنها تمثل الجانب النظري من الإيمان، وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم أمورا ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره[٤]، وهذه العقيدة هي التي أرسل الله بها كل الأنبياء: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

والإيمان بالله تعالى يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه ذلك أن أشرف ما في الأرض هو الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان بالله تعالى، ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أفضل نعم الله على الإطلاق...[٥].

والغاية من الصلة بين العبد وربه تتجلى أهميتها في أهدافها، فهي تربي الضمير تربية عقائدية، فالإيمان بالله والاستجابة له تكون حدا فاصلا بين المرء وأهوائه وشهواته، فقد أسلم نفسه لله، مستعينا به متوكلا عليه، قائما بفرائضه وحدوده، محاسبا لنفسه مراقبا

---

[١] انظر: صلة الإنسان بالله، ضياء الدين العزي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧م، ص٧٢.

[٢] انظر: الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ص ٩. مصر، دار الشروق، ٢٠٠٧م.

[٣] العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص٨. القاهرة، الفتح للإعلام العربي.

[٤] شرح العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق جماعة من العلماء، ص ٣٧٣. ط ٤ المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩١هـ، وانظر: الصلة بالله وأثرها على النفس الإنسانية، ص ٤٢، محمد تيسير سليمان العلي، دار البشير، عمان، ١٩٩٧م.

[٥] العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ٧٩.

لها، وبذلك تتحقق له السعادة النفسية كثمرة أولى لهذا الاتصال في الدنيا ومن ثم في الآخرة.

فالإسلام **وقائي في مجال العقيدة:** فاطمئنان القلوب ثمرة من ثمرات معرفة الله وذكره.. والقلوب المتصلة بالله الذاكرة لله لا تعرف القلق الذي تعيشه المجتمعات غير الإسلامية، والذي أورثها الأمراض العصبية المختلفة، ودفع بها في طريق الجريمة والانتحار إلى الدرك الأسفل.. وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ووقائي في مجال العبادة: إذ أن الاستقامة والبعد عن الفحشاء والمنكر ثمرة من ثمرات الصلاة والصوم وغيرها.. فالوقائية تبدو جلية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وفي الصيام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣][(١)].

ثانيا: الحذر من الشيطان

تحدث القرآن الكريم عن الصراع الأزلي بين الشيطان والإنسان، منذ أن خلق آدم وأمره مع الملائكة بالسجود له، فأبى واستكبر، قال تعالى : ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ ٱسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٣-٧٦]، وقد تكرر هذا المعنى في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وواضح من الآيات أن أبليس حين رفض السجود لآدم طلب من الله أن ينظره ولا يعجل بإهلاكه، وأن يدعه وآدم وذريته، ليقيم لنفسه حجة أنه كان محقا في عدم السجود لآدم، فأخذ يغري آدم بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله من الاقتراب منها،

---

(١) انظر: التربية الوقائية في الإسلام، ص ١٢-١٣.

وما زال يغري بهما في ثوب الناصح حتى أكلا من الشجرة وعصيا أمر الله لهما، ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩-٢١].

ولذلك يحذرنا القرآن حين يورد القصة كي لا نقع فريسة للشيطان وإغوائه وذلك في قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وحين أمر الله آدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض بعد أن تاب عليهما طرد إبليس من الجنة ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص: ٧٧-٧٨]، ومن هنا تأصلت العداوة بينه وبين بني آدم ففكر بالانتقام، يقول المرحوم سيد قطب: "لقد طلب النظرة إلى يوم البعث، لا ليندم على خطيئته في حضرة الخالق العظيم، ولا ليتوب إلى الله ويرجع ويكفّر عن إثمه الجسيم، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده"[(١)]، وبعد أن اطمأن إبليس لبقائه إلى يوم البعث أفصح عن خطته وهدفه فقال: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]. وفي آية أخرى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦].

ومن هنا تعددت طرق إغواء الشيطان وسيستمر إلى يوم الدين، قال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"[(٢)]، قال ابن حجر: "قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى أقدره على ذلك، وقيل هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه، وكأنه لا يفارق كالدم، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة"[(٣)].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢١٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده..، ح (٣١٠٧)، ١١٩٥/٣، وكتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح ثم التعجب، ح(٥٨٦٤) ٢٢٩٦/٥، وكتاب الأحكام، باب باب الشهادة...(٦٧٥٠) ٢٦٢٣/٦، كتاب السلام، مسلم، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بأمرأة ...(٢١٧٤) ١٧١٢/٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٨٠/٤.

وتتجلى أهم طرق الوقاية من الشيطان في عدم اتباع خطواته، ولهذا كان نداء الله للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١]. ولذلك يقول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: "والذي نفسه بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك"[(١)].

ولخطورة الشيطان على الإنسان فقد أكثر القرآن من ذكره والتنبيه من خطره، وذكر في القرآن ٧٠ مرة بلفظ المفرد، وذكر ١٧ مرة بلفظ الجمع[(٢)]، وفي جميع هذه المواضع لا يذكر الشيطان إلا في مقام التحذير من الضلال والغواية للإنسان، إن الشيطان ليفتح على المؤمن سبعين بابا من أبواب الخير من أجل أن يفتح له بابا واحدا من أبواب الشر، حتى إذا انفتح هذا الباب فإنه لا يكاد يغلق.. من هنا كان التحذير المشدد من الله تعالى للمؤمنين من كيده[(٣)].

والشيطان يستدرج الإنسان إلى المعصية خطوة خطوة، وهو ما حذّرنا منه تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [النور: ٢١]، وعلى هذا وضع العلماء قاعدة "سد الذرائع" لمنع استدراج الشيطان، من قبيل تحريم الخلوة بالأجنبية وغض البصر، وطرق الشيطان للإنسان كثيرة ليس تفصيلها مجال البحث[(٤)].

طرق وقاية الإنسان من الشيطان:

لقد وردت الإشارة إليها في السطور الماضية، والحصن الأول هو إخلاص العبودية لله ويتحقق ذلك في:

---

(١) صحيح البخاري،كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح(٣١٢٠) ١٨٦٣/٤، وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر ﷺ، وحديث (٥٧٣٥) ٢٢٥٩/٥، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عمر، (٢٣٩٦) ١٨٦٣/٤.

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (شطن) ص٤٨٥ -٤٨٦.

(٣) انظر: الشيطان والإنسان، عبد الكريم الخطيب، ص ٢٥-٢٦ (بتصرف).

(٤) انظر: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، ١٧٦-١٨٨. فمن طرقه: تزيين الباطل والصد عن الحق، وتسمية المعاصي بأسماء محببة والطاعة بأسماء منفرة، والدخول إلى النفس من باب النصح.

١- الاعتصام بالكتاب والسنة وعدم الفرقة: لأن عدم الالتزام خروج عن الصراط ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقد أمرنا الله بوحدة الكلمة وجعلها من أهم النعم وذلك في قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمرن: ١٠٣]، وأشار إلى أن أداء الفرائض أهم ما يعتصم به المؤمن فقال: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

٢- كثرة الطاعات والذكر: الطاعات كثيرة ومثبتة في القرآن والسنة إذا عملها الإنسان بإخلاص، تبعده عن الشيطان، ومن هذه الطاعات: كثرة الذكر حيث تجعل الإنسان موصولا بربه، ومن كان موصولا بالله لا يتمكن منه الشيطان، فالمؤمن يذكر الله في كل حالاته، إذا أكل وشرب، وإذا لبس جديدا، وإذا دخل بيته أو خرج منه.. وهم الذين قال القرآن فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٣- الاستعاذة بالله: وهي الالتجاء إلى الله والاستجارة به من أن يضره الشيطان أو يصده عن فعل المأمورات والانتهاء عن المحظورات..[1]، ومواضع الاستعاذة المأمور بها في القرآن والسنة كثيرة في جميع أحوالنا، فعند قراءة القرآن أمرنا بذلك حيث يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وعند كل عبادة يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠١]، ولتحصين الأنفس والمال يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، وعند الإحساس بنزغات الشيطان يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

---

[1] انظر تفاصيل ذلك في كتاب: الشيطان والإنسان، الخطيب ص٣٢ وما بعدها، وكتاب: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٢٦٧ وما بعدها.

وفي السنة النبوية علمنا الرسول الأعظم الاستعاذة عند الغضب، وعند دخول الخلاء، كما علمنا قراءة آيات وسور معينة في القرآن للوقاية من المرض والحسد والسحر، فضلا عن الشفاء بها، يجمع ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ثالثاً: الصلة بالله بالدعاء

من رحمة الله أن جعل الدعاء بأسمائه ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] وصفاته بابا واسعا للوقاية من كل الشرور دنيا وآخرة، فالدعاء يعبر عن لجوء العبد إلى بارئه، والشعور بالفقر إليه مهما بلغت حظوظه من الدنيا لأنها ملك لله، وخصوصا أنه تعالى قريب، ولا يحتاج إلى وساطة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاء المستجاب له شروط في مقدمتها (الاستقامة) وبذلك يقول تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وإذا كانت الأوامر بالدعاء في القرآن عامة فقد جاءت السنة النبوية ببيان وتفصيل لذلك، علما أن الوقاية بالدعاء هي مكملة لما سبق، ففي الإخلاص والعبادة، دعاء، والتعوذ من الشيطان نوع من الدعاء باللجوء إلى الله، وقد علمنا الرسول ﷺ أدعية تقال بعد التعوذ والبسملة، حتى قال الصحابة ﷺ بأنه كان يعلمهم الدعاء كما يعلمهم القرآن، فيوم المسلم يبدؤه ويختمه بالدعاء، ولكل موقف دعاء، وحين نقرأ في القصص القرآني نجده عادة وخلقا للأنبياء والصالحين.

والوقاية بالدعاء في السنة أظهر منها في القرآن، فالدعاء في القرآن منه ما يفهم من مضمونه التضرع إلى الله بطلب الوقاية مثل:

- **الوقاية من الكفر وعبادة الأصنام:** قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ومن قول

الشـــطط: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤]، ومن زيغ القلوب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، ومن جحود النعمة: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ [النمـــــل:١٩]، والدعاء للوقاية من عمل الكفار على لسان لوط: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٩- ١٧٠]، وبالدعاء في وقاية الأرض وتنقيتها من الكفـــار ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦- ٢٧].

- **الوقاية من وسوسة الشيطان:** قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧- ٩٨].

- **الوقاية من الظلم والظالمين** كما في دعاء إبراهيم ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٣]، ومن الوقوف مع الظلمة ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]، ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١]، ومثل ذلك الأعراف: ٤٧، ويونس: ٨٥.

- **الوقاية من الوقوع في الفاحشة وعمل السوء:** قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

-**الوقاية من الهم والحزن:** قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصـــلت: ٣٠]، ومن ضيق الصدر قَالَ: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [طه: ٢٥].

- **الوقاية للذرية:** قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقـــــان: ٧٤]، ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمـــران: ٣٦]، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وعليه ففي الدعاء وقاية روحية ونفسية وبدنية فضلا عن كونه علاجيا لكل ذلك ويسبقه "فالدعاء قوة دافعة، ودرع واقية، حالة إيجابية تربوية وقائية، يمكّن لملكة التقوى في النفس، ويبصر بالفرقان المتولد منها وعنها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وحالة علاجية تعالج الإحباط والانكسار واليأس والعجز وانطفاء الفاعلية... وتحقيق الاتصال المباشر مع القوة المطلقة، صاحبة العلم المطلق، والبوح لها بكل المعاناة"[(١)].

وبالجملة ففي المنهج القرآني نجد وسائل الوقاية من كل سوء في الدنيا ومن سوء العاقبة في الآخرة هو الداء وهو يدل على الصلة الدائمة بالله تعالى. وفي السنة النبوية تفصيل أكثر في أنواع الأدعية للوقاية من أمراض الأبدان والنفوس، ومن الكبر والفساد، ومن الحرمان والفقر والحزن والظلم وغير ذلك.

المبحث الثالث

مجالات الوقاية في القرآن الكريم

اتفق العلماء على أن للقرآن الكريم أهدافا ومقاصد أراد تحقيقها، وهي الغاية من إرسال الرسول، وإنزال الكتاب، لتحقيق الخلافة الصالحة والمنشودة على الأرض، وتجدر الإشارة إلى أن طرق الوقاية في القرآن وأساليبه في مجالات الحياة المختلفة تصب كلها في تحقيق أهداف القرآن ومقاصده في حفظ مصالح البشر والتي حددها العلماء بخمسة مقاصد، وهي (الدين، النفس، العقل، النسل والمال)، كما أن القاعدة الفقهية (سد الذرائع)، تصب كذلك في حفظ مصالح الإنسان.

وهكذا أقر الإسلام مبدأ هاما جدا في الوقاية، وهو مبدأ الحفاظ على الكليات الخمس، ويطلق عليها أحيانا الضروريات الشرعية الكلية، فالحفاظ على الدين يتم بتنفيذ أركان الإسلام الخمس، وبكل ما من شأنه يحفظ الدين كبناء المؤسسات التي

---

(١) الدعاء سبيل الحياة الطيبة، سعاد الناصر، ص ١١، سلسلة كتاب الأمة ١١٥، ط وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية، قطر، ٢٠٠٦م

تحفظه، وتنفذ حدوده، وحفظ النفس يتم بتطبيق القصاص، وحفظ العقل بالتزود بالعلم وتحريم الخمر، وحفظ النسل بحسن اختيار الزوجة، وتطبيق حد الزنا والقذف، ثم حفظ المال بإخراج الزكاة، وتطبيق حد السرقة.

أما المجالات التي تناولها القرآن بالوقاية فهي:

أولا: في المجال السياسي والاقتصادي

أ- في مجال السياسة: ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

- الوحدة بين المسلمين: في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ومن وسائلها: **العدل** وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨]، وفي الدفاع والجهاد في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١]، "...بتشبيه الحذر بالسلاح وآلة الوقاية... والمعنى استعدوا لأعدائكم أو تيقظوا واحترزوا منهم ولا تمكنوهم من أنفسكم.."[(١)]، وقوله: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢]، وفيها التحذير من إلقاء السلاح وقاية لهم من استغلال العدو.

- الدفاع عن الإسلام وأهله: في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فإعداد القوة بالسلاح والمال ليس بدافع الاعتداء بل وقاية لكي تكون الأمة مهابة لا يطمع بضعفها الأعداء، ومثل ذلك الإنفاق في سبيل الله بقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، ٧٩/٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، لأن إنفاق المال في سبيل الله هو أحدى مقومات الجهاد.

ب- في المجال الاقتصادي ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

- إيتاء الزكاة ومنح الصدقات: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠]. نقل د وهبة الزحيلي عن الرازي ١٢ وجها من المصالح لمعطي الزكاة، و٨ وجوه من المصالح لآخذ الزكاة، أما فوائد الزكاة للمزكي فمنها: أن الزكاة علاج صالح لإزالة مرض حب الدنيا، والحد من ملذات الدنيا، والوقوف أمام طغيان المال وقسوة القلب، وتربية النفس عن طريق الشعور بآلام الآخرين، وتوفير محبة الفقراء للأغنياء، وأما فوائد الزكاة للآخذ، فمنها: دفع الحاجة وسد الخلّة، وعدم تعطيل المال الفاضل عن الحاجات الأصلية، والحكمة والرحمة تقتضيان صرف الغني بعض ماله إلى الفقير العاجز، والحد من ارتكاب الجرائم واللحاق بالأعداء[١].

- تحريم كنز المال: في قوله تعالى: ﴿.....وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، الكنز: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم، عذبوا بها، ... فيحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرها، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم[٢]، وقد رتب اللّه سوء العقوبة والجزاء بقوله: يَوْمَ يُحْمى على حال المعصية الحاصلة من الكانز المسلم والكافر بتعطيله خاصية المال، وهي إنفاقه في سبيل الله، فإن كان المكتنز كافرا فهذه بعض عقوباته، وإن كان مؤمنا، فهذه عقوبته إن لم يغفر له، ويجوز أن يعفى عنه[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب: الرازي ١٦/ ١٠٠ عن التفسير المنير.

[٢] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٤/ ١٣٨، ١٤١.

[٣] التفسير المنير: وهبة الزحيلي ١٠/ ١٩٧.

– **الاعتدال في الإنفاق والمحافظة على المال:** فالاعتدال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، فنهى الله عن البخل وعن التبذير، وهو الزيادة في الإنفاق في غير محله[١] ، يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذامّا للبخل ناهيًا عن السَّرَف: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي: لا تكن بخيلا منوعًا، لا تعطي أحدًا شيئًا، وقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملومًا محسورًا. وفي **المحافظة على المال** قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وفي تحريم الربا، وتحريم العقود التي فيها غرر أو غبن. وإن أصول الإنفاق هو الاقتصاد في العيش، والتوسط في الإنفاق، دون بخل ولا سرف، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق، وهما مذمومان، وخير الأمور أوساطها، والفضيلة وسط بين رذيلتين[٢].

ثانياً: في المجال الاجتماعي والأخلاقي

أ– في المجال الاجتماعي: ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

– **التكافل الاجتماعي:** حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي بين المسلمين والتعاون بينهم، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة: ٧١]، فالمؤمنون قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف"[٣]، وهم أولياء بعض في الولاية العامة من أخوة ومودة وتعاون وتراحم، حتى شبه النبي ﷺ جماعتهم بالجسد الواحد، وبالبنيان يشد بعضه بعضا[٤].

---

[١] تفسير القرآن العظيم ١٤٣٦/٣

[٢] التفسير المنير ٥٨/١٥، ٦٠، ٦٣.

[٣] جامع الأحكام: القرطبي ٨/ ٢٠٣.

[٤] تفسير القرآن الحكيم (المنار): محمد رشيد ٤٦٧/١٠.

– **الشعور بالمسؤولية**: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، أي: "لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل ، نهى أن نقول ما لا نعلم وأن نعمل بما لا نعلم ، ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لأنه اتباع بما لا يعلم صحته"[١].

– **العفو والبعد عن الجاهلين**: في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ذكر القرطبي أن "هذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات فـ {خُذِ الْعَفْوَ} دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"[٢].

ب– **في المجال الأخلاقي** ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

التطبيق العملي وتعلم المهارات: في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقد عدّ النبي ﷺ العمل عبادة، ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقد كتب للشام: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل، ومروهم أن يثبوا على الخيل وثبا"[٣].

– **غض البصر**: في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠]، هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا

---

[١] تفسير البحر المحيط: ابن حيان ٤٧/٧.

[٢] جامع الأحكام: القرطبي ٧/ ٣٤٤.

[٣] انظر: فتح القدير، المناوي، ٤/ ٣٢٧، وفيه: قال الحكيم: "هذه خصال من رؤوس الأدب فلا ينبغي أن يغفل عنها"، والإصابة لابن حجر (٥٢٩) ٣٢٥/١

ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعًا[١].

– **النهي عن المن والأذى:** في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. والمراد بالإبطال للصدقات: إذهاب أثرها، وإفساد منفعتها، أي: لا تبطلوها بالمنِّ والأذى أو بأحدهما[٢].

– **تجنب الكذب والحقد والحسد:** في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥]، وفي تجنب الحسد قول الرسول ﷺ: "انظروا إلى ما هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى ما هو فوقكم فهو أجدر إلا تزدروا نعمة الله عليكم"[٣]، وفي رواية " إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه"[٤].

– **البعد عن الفواحش:** في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والمراد: إياكم من الاقتراب من الفواحش، وهي كل ما عظم جرمه وإثمه وقبحه من الأقوال والأفعال، كالزنى وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، سواء في الظاهر المعلن أو الباطن السري[٥]، وهو تحريم لكل العلاقات غير المشروعة، العلنية والسرية، الظاهرة والمستترة، فالعفة صفة خلقية راقية.

ثالثا: في المجال الطبي والصحة النفسية

أ- في المجال الطبي

---

[١] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٤١/٦.

[٢] فتح القدير: الشوكاني ٣٨٦/١.

[٣] الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ رقم(٢٩٣)، ٦٦٥/٢، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب القناعة، رقم (٤١٤٢)، ١٣٨٧/٢، ومسند أحمد رقم (١٠٢٥١)، ٤٨١/٢.

[٤] صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلأى من هو فوقه، الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق رقم (٢٩٦٣)، ٢٢٧٥/٤.

[٥] التفسير المنير، الزحيلي ٩٦/٨.

الطب الوقائي في الإسلام يقوم على قواعد أساسية من التحصن من شأنها أن تكسب الجسم مناعة ذاتية تقيه غوائل العدوى والأمراض الوافدة وميكروباتها وفيروساتها المختلفة..[١].

يقول ابن قيم الجوزية: "وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء.. وقالوا: كل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية..وقالوا: ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله، أو وجد داء لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه، فزادت كميته عليه أو كيفيته، تشبث بالصحة وعبث بها"[٢].

وجاء في كتاب مع الطب في القرآن: "والفرق كبير بين أن نترك الإنسان ليصاب بالمرض ثم نسعى لمعالجته، وبين أن نقيه من المرض أصلاً.."[٣]، فقد يستمر العلاج مدة طويلة، مع التكاليف الباهضة لبعض الأمراض، إضافة إلى الجوانب السلبية لبعض التداوي، كان يمكن تجنبه بلقاح قليل التكلفة..

ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

– الاهتمام بالطهارة والنظافة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: ٦]، وقال رسول اللهﷺ: "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكريم، جواد يحب الجواد، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود"[٤]، والمبدأ فيما ينسب للرسول ﷺ في قوله: "النظافة

---

[١] التربية الوقائية في الإسلام، فتحي يكن، ص ٩.

[٢] زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٠، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

[٣] مع الطب في القرآن، عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز المقدمة ، ط٢ مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٢م.

[٤] أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة، رقم (٢٧٩٩)، ٥/ ١١١، وقال: هذا حديث حسن غريب.

تدعو إلى الإيمان"[١]، والنظافة في الثياب: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]. والسواك ونظافة الفم كما ورد في الحديث: "تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب"[٢].

– الأكل من الطيبات: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، خص المؤمنين هنا بالذكر تفضيلاً والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه، وقيل: هو الأكل المعتاد. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: "أيها الناس إن اللّه تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن اللّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام [ومشربه حرام] وملبسه حرام [وغذي بالحرام] فأنى يستجاب لذلك"[٣].

– عدم الإسراف: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. والأمر بالاعتدال في الأكل والشرب كما ورد في الحديث: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"[٤].

– حماية البيئة: فقد نهى القرآن عن الإفساد في الأرض: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وعبر القرآن بالفساد عند عدم وقاية البيئة، فقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا

---

[١] قال السخاوي: أنه من كلام بعض السلف.

[٢] ذكره البخاري معلقا في كتاب الصوم، باب السواك، ح(١٨٣١)، ٦٨٢/٢، وأخرجه ابن ماجة في سننه، في باب السواك ح (٢٨٩)، ١٠٦/١، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب الطهارة، في الترغيب في السواك، (٤)، ٦٤/١، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب في فضل السواك، ح(١٣٤)، ٣٤/١، وأحمد في مسنده، ٣/١، ٦/١٠، ٤٧/٦، ٦٢، ١٢٤.

[٣] تفسير القرطبي ٢١٥/٢، والحديث في صحيح مسلم رقم ١٠١٥.

[٤] رواه ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (٣٣٤٩)، ١١١١/٢، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب آداب الأكل، في النهي عن رفع الصحفة حتى تلعق، ح (٦٧٦٧)، ١٧٧/٤، والبيهقي في شعب الإيمان، الفصل الثاني في كثرة الأكل، ٢٨/٥، الترمذي وأحمد والحاكم وصححه الألباني.

كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٧١]. وقد فصلت السنة النبوية وسائل وقاية البيئة والحفاظ عليها بأحاديث كثيرة. ففي الحد من انتشار الأمراض ورد الحديث: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"[(١)].

ويجمل ذلك فتحي يكن بالقول: ""إن اعتماد النهج العلاجي في عالم الأبدان كما هو في عالم الأرواح، وفي نطاق الفرد كما في نطاق الجماعة، وفي السلوك الفردي كما في إطار العمل الجماعي، من شأنه أن يتسبب بفقدان المناعة الذاتية والمكتسبة، وتعود الإدمان العلاجي وفي هذا خطر كبير شر مستطير.."[(٢)].

ب- في مجال الصحة النفسية

ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

- الدعاء: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكان من عادة النبي ﷺ أن يعلم أصحابه أدعية وأذكارا بهدف جلب الطمأنينة النفسية والوقاية من القلق والخوف وسائر الاضطرابات النفسية، فهو بذلك يحرك في نفوسهم الإيمان والالتجاء إلى الله تعالى والرجاء منه والاعتماد عليه في نجاح الأسباب والوسائل فتكتسب نفوسهم الطمأنينة والسكينة[(٣)].

- قراءة القرآن: قراءة القرآن بتدبر وخشوع تملأ القلب هيبة يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، ويقول تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقد وصفه الله روحا ونورا وموعظة.

---

(١) البخاري، كتاب رآه، باب ما يذكر في الطاعون، ح (٥٣٩٦)، ٢١٦٣/٥، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح(٢٢١٨)، ١٧٣٩/٤، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب الوباء يقع بأرض فلا يخرج من أرضه، ح(٦٣٤٨)، ٣٧٦/٣، وأحمد في المسند، ٢٠٦/٥، ٢٠٨.

(٢) التربية الوقائية في الإسلام، فتحي يكن، ص٣، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

(٣) الطب الوقائي في الإسلام، عادل أحمد بربور وآخرون، ص ١٩١.، والخدمة الاجتماعية الوقائية، مدحت محمد محمود أبو النصر، ص٧٥.

ولا ينكر مسلم ما للدعاء والذكر من أثر في المناعة البدنية والنفسية كما أكد عليها الأطباء المسلمون، يقول الكيلاني: "لا يسعني إلا ذكر الاستعانة ببعض الرقى القرآنية الكريمة والنبوية الشريفة لتقوية المناعة، فهي تقوي الروح في من اعتقدها وآمن بفائدتها إيمانا جازما، وللروح المعنوية دخل كبير في تقوية المناعة الجسمية"[١].

– الإيمان بالقضاء والقدر والتوكل: قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. وهو يعني " أن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود الخلق ، وأن ما كتب واقع لا محالة"[٢].

– الأمل والتفاؤل: قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، فيه خاطب للمؤمنين بأن الله سيجْعلُ لهم بعدَ العُسر يُسراً، و"هذا يحتمل وجهين: أحدهما: يعني بعد ضيق سعة. الثاني: بعد عجز قدرة"[٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. ففيه "تقوية الرّوح المعنوية للمؤمنين، وجعلها عالية سامية لا تتأثر ولا تهتز بأحداث المعارك والقتال. وفي هذا تسلية من اللّه تعالى للمؤمنين"[٤].

د– اجتناب الظن: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. قال رسول اللّه ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث"[٥]، وقال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم[٦]، فالتوجيه الرباني باجتناب الظن وقاية للنفس من الوقوع في أعراض الآخرين.

– الصدق والأمانة والعفة: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[المعارج:٢٦] أي: يؤمنون بيوم الحساب والجزاء، يصدقون بمجيئه تصديقا جازما، و﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[المعارج:٢٩] أي هم أعفاء لا

---

[١] الوقاية خير من العلاج ، عبد الرزاق الكيلاني، ص ٧٩.

[٢] أضواء البيان: الشنقيطي ٥٤٩/٧.

[٣] تفسير الماوردي ٣٥/٦.

[٤] التفسير المنير للزحيلي ١٠٢/٤.

[٥] أخرجه البخاري، باب لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، حديث رقم (٥١٤٣)، ومسلم، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، حديث (٢٥٦٣).

[٦] تفسير البغوي ٣٤٥/٧.

يرتكبون المحارم ، ولا يتلوثون بالمآثم، قد صانوا أنفسهم عن الزنى والفواحش، و﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المعارج:٣٢] أي يؤدون الأمانات ، ويحفظون العهود ، فإذا ائتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا[١].

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال:" أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة"[٢].

– **الصبر**: في الصبر وتعويد النفس عليه وقاية نفسية من الوقوع في كثير من الأخطاء، بل جاءت الشريعة بوسائل تعلم الصبر كما في عبادة الصوم كونه مدرسة تربوية في هذا المجال، وعليه ترتب الجزاء المفتوح: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وفي الجزاء أربعة أوجه: أحدها: يعني بغير مَنٍّ عليهم ولا متابعة، والثاني: لا يحسب لهم ثواب عملهم فقط ولكن يزدادون على ذلك، والثالث: لا يعطونه مقدراً لكن جزافاً، والرابع: واسعاً بغير تضييق[٣].

– **الترفيه الحلال**: هو أحد وسائل الوقاية النفسية من التعب والملل، يقول رسول الله ﷺ لحنظلة حين شكى له ما يفعله من اللهو الحلال حين يفارقه: "يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات"[٤]، ان الترويح عن النفس حاجة وضرورة فطرية وانسانية، فالانسان بحاجة الى الراحة بعد العمل، لكي يعاود العمل والنشاط مرة اخرى بالمزيد من الفاعلية والعطاء والإنتاج.

---

[١] صفوة التفاسير . للصابوني ٤٠١/٣.

[٢] أخرجه الإمام أحمد، (٦٦٠٢)، ١٧٧/٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ح (٤٨٦٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة، ٣٧٠/٢.

[٣] تفسير الماوردي ١١٩/٥.

[٤] أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل الذكر...وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، ح (٢٧٥٠)، ٢١٠٧/٤، وابن حبان في صحيحه، ح (٣٤٤) ٥٥/٢، والترمذي، ح (٢٥١٤)، ٦٦٦/٤، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في باب المداومة على العمل،ح (٤٢٣٩)، ١٤١٦/٢.

رابعاً: في المجال الفكري والثقافي ويتحقق ذلك في جملة أمور أهمها:

– تحريم الخمر وما يشابهها من المخدرات: أكد الطب مضارها الكثيرة من الناحية الصحية[1] فضلاً عن النواحي الأخرى في ضررها على العقل والأمراض الاجتماعية، وقد حرمها الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]. مع العقاب الأخروي لمن لم يتب منها، والثواب لمن ابتعد عنها امتثالا للقرآن الكريم.

– الحرص على العلم والمعرفة: قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. والعلم والاستزاده منه يقي من الجهل والوقوع في الانحراف الفكري، وبالعلم والمعرفة ينجو الإنسان من اتباع الأفكار المضللة، والدعوات الفاسدة، وحركات التبشير، والمبادئ الهدامة.

– إنكار البدع والخرافات: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، و"هذا هو منهج الحق وطريق الاستقامة، أي ولأن هذا هو الطريق المستقيم، فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق المختلفة ذات المذاهب والأهواء والبدع والضلالات، فيؤدي بكم إلى التفرق والاختلاف، والانحراف عن دين اللّه الحق، ومنهجه الأمثل. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾: أمر اللّه المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة"[2].

وبعد: فإن مجالات الوقاية في القرآن لا يمكن حصرها، وليس هدف البحث استيفاء كل ذلك فهو أمر متعذر، بل إثبات أن الوقاية منهج قرآني يتناول مجالات الحياة كلها

---

[1] انظر: الوقاية خير من العلاج، عبد الرزاق الكيلاني، ص ٨٧-٩٩، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.

[2] التفسير المنير للزحيلي ١٠١/٨.

فيشكل منظومة مترابطة تجعل المتمسك بها يعيش في ظل القرآن بما يحقق له سعادة الدارين.

الخاتمة: توصل البحث للنتائج الآتية:

١- إن الوقاية – من مشكلات الحياة المختلفة- منهج ومبدأ أصيل في القرآن الكريم.

٢- يتضمن القرآن الكريم توجيهات وقائية فيها وسائل تعليمية تربوية خاصة وعامة. والسنة النبوية هي التطبيق العملي لتوجيهات القرآن الوقائية مؤكدة ومفصلة له.

٣- تشمل هذه التوجيهات والوسائل كافة نواحي الحياة: سياسية واقتصادية، واجتماعية وأخلاقية وصحة نفسية وفكرية.

٤- من ملامح هذا المبدأ والمنهج أنه رباني يتسم بالعالمية والشمول والتكامل، وبأسلوب الموعظة والنصح والإقناع والاقتناع.

٥- يوصي البحث بنشر ثقافة منهج القرآن ووسائله في الوقاية تجنبا للمشكلات التي تواجه الفرد والمجتمع والأمة.

المصادر والمراجع

صحيح البخاري ومسلم، وسنن الترمذي وابن ماجة و النسائي، ومسند الإمام أحمد.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

التربية الوقائية في الإسلام، فتحي يكن، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

تفسير القرآن الحكيم (المنار): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢ ١٤١٨هـ.

التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية ط ١ دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق ١٤١٠هـ.

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد عبد الله السيد أحمد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، ت: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م.

الخدمة الاجتماعية الوقائية، مدحت محمد محمود أبو النصر، دبي: دار العلم للنشر، ١٩٩٦م.

الدعاء سبيل الحياة الطيبة، سعاد الناصر، سلسلة كتاب الأمة ١١٥، ط وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية، قطر، ٢٠٠٦م.

روح المعاني في تفسير القرآن، شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

سنن البيهقي الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين، ت: محمد عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.

شرح العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد الطحاوي، ط ٤ المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩١هـ

شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر أحمد، ت: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

الشيطان والإنسان بين أوليائه وأعدائه، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٩م.

صلة الإنسان بالله، ضياء الدين العزي، ط مكتبة العبيكان، الرياض،١٩٩٧م

الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس، محمد تيسير سليمان العلي، دار البشير، عمان، ١٩٩٧م.

العقيدة الإسلامية سفينة النجاة، كمال محمد عيسى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨م

عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط دار الفكر، بيروت.

في ظلال القرآن، سيد قطب، ط دار الشروق، القاهرة.

الكشاف، الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م.

مع الطب في القرآن، عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز، ط٢ مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٢م.

المعجم الوجيز، إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ١٩٨٠م.

المعجم الوسيط، ط دار الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٥م.

مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة، لبنان.

النكت والعيون: أبو الحسن الماوردي، تحقيق: عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

الوقاية خير من العلاج، عبد الرزاق الكيلاني، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.